العمل وتأثيره على مستوى تقدير الذات لدى الأطفال العاملين (دراسة عيادية على اربع حالات بمدينة تلمسان)

- أ. عثماني نعيمة (جامعة - سعيدة)
- أ. حاج سليمان فاطمة الزهراء (جامعة ابي بكر بلقايد - تلمسان)

الملخص:

تعتبر ظاهرة تشغيل الاطفال من المواضيع الاكثر شيوعا في جميع المجتمعات ولا يكاد اي مجتمع ان يخلو منها، وبالرغم من تعدد الدراسات في هذا المجال (نفسية، اجتماعية، اقتصادية، تربوية...) الا ان معظمها اكدت على كل ما تعكسه هذه الظاهرة من اثار سلبية على حياة الاطفال العاملين بصفة خاصة وعلى اسرهم ومجتمعهم بصفة عامة، ومن هذا المنطلق تأتي الدراسة الحالية للبحث في كيفية تأثير ظاهرة عمل الاطفال على تقديرهم لذاتهم، وتمثلت مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

- هل يتمتع الاطفال العمال بتقدير ذات ايجابي؟

- كيف يؤثر هذا العمل على مستوى تقديرهم لذاتهم؟

ولقد اعتمدت الباحثتان في الدراسة على المنهج العيادي لملائمته متغيرات الدراسة، بالإضافة الى تطبيق مقياس تقدير الذات (من اعداد كوبر سميث)، وتم تطبيق الدراسة على عينة متكونة من (04) اطفال عاملين وغير متمدرسين، تراوحت اعمارهم ما بين (13- 17 سنة)، ومن اهم النتائج المتحصل عليها في الاخير ان ظاهرة العمل اثرت سلبا على مستوى تقديرهم لذاتهم.

الكلمات المفتاحية: العمل، عمل الطفل، تقدير الذات.

Abstract :

The phenomenon of child labor is one of the most common topics in all societies and hardly any society is free of it. Despite the many studies in this field (psychological, social, economic, educational ...), most of them emphasized all the effects of this phenomenon The study aims to investigate how the phenomenon of children's work affects their self-esteem. The problem of the study is the following questions:

- Do child workers enjoy a positive assessment?

- How does this work affect their level of self-esteem?

The study was applied to a sample consisting of (40) working and uneducated children, aged between 13 and 17 years of age, , And the most important results obtained in the latter that the phenomenon of work negatively affected the level of self-esteem.

Keywords: work, child labor, self-esteem.

مقدمة:

تترك ظاهرة تشغيل الاطفال اثارا سلبية تنعكس على المجتمع بشكل عام وعلى الاطفال بشكل خاص، ولقد اخذ هذا الاستغلال اشكالا عديدة اهمها تشغيل الاطفال وتسخيرهم في اعمال غير مؤهلين جسديا ونفسيا للقيام بها، وهذا ما يشكل لهم ضررا او يمثل لهم اعاقة لتعلمهم او نموهم البدني او العقلي او الروحي او الاجتماعي... ونظرا لأهمية هذا الموضوع تأتي الدراسة الحالية لإلقاء الضوء على ظاهرة عمالة الاطفال في الجزائر والكشف عن كيفية تأثير هذه الظاهرة على مستوى تقديرهم لذاتهم.

1- الخلفية النظرية للدراسة وطرح الاشكالية:

تؤكد مجموع الدراسات والأبحاث والتحقيقات الّتي استهدفت موضوع عمل الطفل أنّ ممارسة الطفل لأي عمل كان تترتب عليها إنعكاسات خطيرة على الحالة النفسية للطفل، حيث جاء في تقرير أصدره المجلس الدولي للممرضات يناشد فيه جميع الجهات المعنية والمسؤولة عن عمل الطفل، أنّه من بين الآثار النفسية الّتي تنتج عن عمل الطفل: سلوكات غير مناسبة، وصعوبة في إقامة علاقات إجتماعية، واضطرابات في النمو والإصابة بالانهيار (International council of nurses,2007 :3).

وفي عمل قامت به (كلودين جاكمين Claudine Jacquemin,2007 :1-2) تتحدث فيه عن الأطفال الّذين يعملون في البيوت أنّه من الأضرار الّتي يخلّفها عمل الطفل، اضطرابات عاطفية، وقلق وآلام في الراس أو في المعدة، والتي تنتج عن الصدمات النفسية وحرمانهم من اللعب والراحة. وفي بعض الأحيان يتم ضربهم والاعتداء عليهم جنسيا ما يخلّف لديهم اضطرابات نفسية خطيرة. كما أنّ طفولتهم سلبت منهم، وتضيف كلودين جاكمين لتؤكد أنّ الاستغلال الجنسي هو من أبشع أنواع عمل الطفل لما يخلّفه من أضرار نفسية ونفسية إجتماعية إضافة إلى خطر الإصابة بالسيدا والأمراض المتنقلة جنسيا (MST)، ووقوع الحمل، وتناول المخدرات.

وفي الدراسة التحقيقية الّتي قام بها (عبد الله سليم البياني) وباعتبار أنّ عمل الطفل هو من المعوقات أو المشكلات الّتي تعرفها مرحلة الطفولة والّتي تؤثر لا مجال في عملية الارتقاء السوي لهم من خلال حرمانهم من الفرص المناسبة لنمو قدراتهم وإمكانياتهم، وضح أنّ ذلك يظهر لدى الطفل مشاعر الظلم والإحباط الّتي تنعكس على علاقات الطفل الشخصية مما يدفع به إلى التخلّي على العديد من الأنشطة والتمرينات ويحجب قدراته الإبداعية، إضافة إلى ظهور أنواع من القلق الغير صحي.

وفي حوار أقيم مع (ماري – روز مورو Marie- Rose Moro)، رئيس قسم مصلحة الطب النفسي للأطفال في مستشفى أفيسان ببوبيني حول موضوع: " الأطفال الجنود المسرحين Enfants soldats démobilisés" تقول فيه: إنّ هؤلاء الأطفال يحسون بالخجل والتحقير ولديهم إحساس بالدونية وهم قادرين على إخفاء هاته الصدمات لسنوات باللجوء إلى المخدرات والكحول والمذيبات من أجل النسيان، وتضيف أنّ تلك الصدمات الغير معالجة تتحوّل إلى عدوان ضد الذات أو ضد الآخرين(International council of nurses,2007 :3).

وفي دراسة نفسية إجتماعية قام بها (سامي عبد الغني ومنى أبوطيرة،2010)، والّتي تم نشرها في مجلة الأبحاث العملية جاء فيها أنّ الطفل العامل تميّزه العصابية، في حين أنّ صورة الذات أتّسمت لديه بمشاعر الدونية والاعتمادية.

وفي مقال لـ (أوريلي شاتلار Aurélie Chatelard,2006 :1) تحت عنوان: " العمل الشاق: الأطفال – الضحية الأولى – البريئة" تقول فيه: " لا يسعنا إلاّ أنّ نلاحظ الآثار البالغة الخطورة لعمل الأطفال والّتي غالبا ما تظهر من خلال فقدان الطفل لقدراته ، والبتر، وإصابته بالإنهيار، وقد يكون مآله الأخير الموت.

وبالتالي ومن خلال هذه الدراسات السابقة نلاحظ ان ظاهرة عمالة الاطفال لها تأثير كبير على حالتهم النفسية بصفة عامة، ومن هذا المنطلق تأتي الدراسة الحالية للبحث في كيفية تأثير ظاهرة عمل الاطفال على تقديرهم لذاتهم، وتمثلت مشكلة الدراسة في طرح التساؤلات التالية:

- هل يتمتع الاطفال العمال بتقدير ذات ايجابي؟

- كيف يؤثر هذا العمل على مستوى تقديرهم لذاتهم؟

2- فرضيات الدراسة:

- لا يتمتع الاطفال العمال بتقدير ذات ايجابي.
- يؤثر عمل الاطفال سلبا على مستوى تقديرهم لذاتهم.

3- اهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية الى التعرف على الحالة النفسية للأطفال العمال بصفة عامة وعلى مستوى تقديرهم لذاتهم بصفة خاصة، وذلك من خلال قياس مستوى تقديرهم لذاتهم مع التعرف على كيفية تأثير هذه الظاهرة على تقديرهم لذاتهم.

4- تحديد المفاهيم الاجرائية للدراسة:

ا- العمل: عامة يعرف العمل على أنه مجهود فردي أو جماعي، جسمي أو ذهني، شعوري، مقصود، إبداعي، مهني أو لا، يسعى من خلاله الفرد إلى تحقيق مشروع ما أو فكرة ما وقد يتعلق الأمر بمجموعة مشاريع أو مجموعة أفكار- لا ينتهي حتما بنتيجة لكن له نهاية وقد يكون مأجورا أولا، سواء بصفة معنوية أو مادية (The free dictionnary :Dictionnaire français,2008).

وينظر الاتجاه النفسي إلى العمل على أنّه إشباع لحاجات نفسية يتطلب عمليات سيكولوجية كالانتباه والذكاء وهو أشبه أن يكون باللّعب كوسيلة لملئ الفراغ، له خاصية الهدف وتتخذ فيه المسؤوليات لتلبية حاجات يومية.

ب- عمل الطفل: إنّ مفهوم عمل الطفل يقصد به توظيف الطفل مقابل أجر، وهو بمعني آخر: كل نشاط يقوم به الطفل يعود بالنفع على الآخرين (من أفراد أسرته)، سواء كان هذا النفع ماديا أو معنويا"(إبراهيم قويدر،2009: 1). ولعمل الطفل شكلان رئيسان هما:

- العمل الدائم، ويقصد به عمل الطفل طوال الوقت وبصفة مستمرة، وتفرغة لهذا العمل.
- العمل المؤقت، ويقصد به عمل الطفل لبعض الوقت كموسم جني المحصول في الأرياف، والعمل خلال فترة العطلة الصيفية.

ج-تقدير الذات: يعرفانه أنجلس وأنجلس بأنه يركز على تقييم صريح للنقاط الحسنة والسيئة في الفرد، وتقدير الذات يرجعنا إلى حكم شخصي للفرد عن الاستحقاق أو عدم الاستحقاق يتم التعبير عنها في الاتجاهات التي يحملها تجاه نفسه (إبراهيم أحمد أبو زيد،1987: 81).

تعرف الباحثتان تقدير الذات اجرائيا من خلال مستوى تقدير الذات المتحصل عليه بعد تطبيق مقياس تقدير الذات.

5- الجانب التطبيقي:

ا- عينة الدراسة: تم تطبيق الدراسة على عينة متكونة من (04) اطفال عاملين وغير متمدرسين، تراوحت اعمارهم ما بين (13- 17 سنة).

ب- ميدان الدراسة: نظرا لطبيعة موضوع الدراسة، ونظرا لعدم وجود مكان أو مجال محدد للدراسة، فقد تطلب تحديد العينة البحث المتواصل عن الأطفال العاملين سواء في الورشات بشتى أنواعها (التجارة – التلحيم – الميكانيك – صيانة السيارات، والأسواق، والمقاهي والمطاعم والشوارع والطرقات...) وذلك على مستوى مدينة تلمسان.

ج- اداة الدراسة:

- **اختبار تقدير الذات لكوبر سميث:** يعود إعداد هذا المقياس في الأصل إلى كوبر سميث بعنوان:

« Coopersmith Self- Esteam Inventory »، وهو يتكوّن من صورتين: الصورة (أ) وهي طويلة، والصورة (ب) وهي قصيرة، حيث ذكر كوبر سميث أن معامل الارتباط بين الصورتين قدر بـ: (0.88) وعليه يمكن الاقتصار على استخدام الصورة القصيرة في البحوث التي تجري على تقدير الذات توفيرا للوقت والجهد. والمقياس الحالي ثم تأسيسه على الصورة القصيرة وقد قام باقتباسه وإعداده (فاروق عبد الفتاح ومحمد دسوقي، 2003).

د- منهج الدراسة: قد استخدمت الباحثتان المنهج العيادي وأيضا دراسة الحالة كوسيلة لتجميع المعلومات والتي تهتم بـ "كيفية" و"ما هيمة" الظواهر الّتي قد تظهر في وضعية ما،كما تعتبر وسيلة ملائمة عند ما يكون الانتباه موجها نحو ظواهر معاصرة في سياق الواقع المعاش (Mucchielli Alex, 2004: 92). وقد تم استخدام دراسة الحالة باعتبارها قطاعا طويلا لحياة الفرد يختص بماضيه وبتتبع حياته، وذلك بهدف مراجعة ودراسة وتحليل وتلخيص تلك المعلومات ووضع وزن عيادي لكل منها. فبواسطة دراسة الحالة نستطيع فهم الدوافع والسلوك وأسبابها، وتحديد اتجاه تطورها (المعطي محمد حسن، 1998: 156).

هـ- عرض نتائج الدراسة:

- **الجدول رقم (01) يبين نسب تقدير الذات عند الحالات المدروسة:**

الحالات	السن	نوع العمل	الدرجة المتحصل عليها	مستوى تقدير الذات
سمير	17سنة	تاجر	12	منخفض
منير	15سنة	عامل في مخبزة	09	منخفض
محمد	16سنة	حلاق	16	مرتفع
انور	17سنة	تاجر	11	منخفض

من خلال النتائج المتحصل عليها في هذا الجدول نستنتج ان اغلب الدرجات التي تحصلت عليها الحالات على اختبار تقدير الذات تراوحت ما بين (09 و12 درجة) مما يدل على وجود تقدير الذات منخفض لديهم، ماعدا حالة واحدة تحصلت على (16 درجة) مما يشير الى وجود تقدير ذات مرتفع لديها.

و- تحليل النتائج ومناقشتها:

- **تحليل النتائج الخاصة بالحالة الاولى: "سمير"**

تحصلت الحالة على الدرجة 12، ممّا يوحي بوجود تقدير ذات منخفض خاصّة في المجال الشخصي. وقد يعود ذلك في أساسه إلى وجود صعوبة لديها في عدم تحقيق الذات وإثباتها نظرا لعدم الرضا الداخلي بالعمل الّذي يقوم به وبالحالة الاجتماعية الّتي يعيشها وهو ما عبّر عنه أثناء المقابلات عندما تحدّث عن طموحاته ومشاريعه المستقبلية الّتي يسعى من خلالها إلى التغيير من وضعيته الحالية. ودائما بالرجوع إلى محتوى المقابلات نجد أنّ الحالة، ورغم تعبيره عن تلك الطموحات والآمال إلاّ أنه سرعان ما قام بإلغائها مبررا ذلك بالواقع المعاش وما تفرضه عليه الظروف الأسرية (مرض الأب، تمدرس الأخوة وما يتطلبه من نفقات) فقد أشار (رمضان، 2000: 218) إلى أنّ الفرد ذو تقدير الذات المنخفض بميل إلى الشعور بالهزيمة حتى قبل أن يقتحم المواقف الجديدة أو الصعبة، حيث أنّه يتوقع فقد الأمل مستقبلا. ومن جهة أخرى تحصّل الحالة على تقدير ذات عائلي منخفض نوعا ما ويمكن ربط ذلك بالجو المتوتر والغير مستقر الذي يعيش فيه، وهو لا يرتبط بالأسرة بصورة مباشرة بل بالأشخاص المحيطين به (الأعمام وزوجاتهم وأولادهم)، والذين هم سبب الشجار وعدم الاستقرار، في حين أنّ البند (22) يتعلق بإحساس الحالة بضرورة وإجبارية العمل من أجل مساعدة العائلة رغم إحساسه بالفخر والاعتزاز لقيامه بذلك.

- **تحليل النتائج الخاصة بالحالة الثانية: "منير"**

لقد تحصل الحالة على الدرجة 09 في اختبار تقدير الذات وهو ما يدلّ على انخفاض واضح على مستوى تقدير الذات، ولقد سجل انخفاض شديد في كل المجالات لاسيما المجال الذاتي، أين تحصل على علامتين من بين 12 علامات، والمجال الاجتماعي أين تحصل على علامة واحدة من بين 06 علامات.

وأما في المجال العائلي، فنلاحظ أنّ الحالة قد تحصل على العلامة 04 من بين 06 وهي أعلى درجة، لكن ما هو ملفت للنظر هو أنّ بنود المجال العائلي، والّتي تحصل من خلالها على أعلى درجة، فهي ترتبط بالجانب "الوالدي"، وعليه فقد جاءت العلامات مرتفعة مع العلم أنّ والدي الحالة متوفيان، وقد صرّحت الحالة بأنّ علاقته بوالده كانت مميّزة

وممتازة (وأمّا الأم فقد توفيت وفي عمره ثلاثة أشهر)، وهو الأمر الذي يؤكد أنّ الحالة تعيش حالة من الإحباط وفقدان الاهتمام تولّدت عنها نتائج جد سلبية على مستوى تقدير الذات.

ويمكن تفسير انخفاض مستوى تقدير الذات في المجالات الأخرى كنتيجة لعدم نيل الحالة الدفء، الحب، التعاطف والرعاية، الاحترام والقبول خاصة من طرف عائلته (أي الإخوة).

يرى (روجرز) أنّ من الحاجة إلى التقدير الإيجابي تأتي الحاجة إلى تقدير الذات، بمعنى أنّ الطفل ينمي الحاجة إلى رؤية نفسه إيجابيا، أي أن تكون مشاعر الآخرين نحوه طيبة، كما يريد شعورا طيبا نحو نفسه (حلمي المليجي، 2001: 169)، وهو ما تفتقده الحالة.

- **تحليل النتائج الخاصة بالحالة الثالثة: "محمد"**

من خلال النتائج المتحصل عليها في إختبار تقدير الذات، يتضح أنّ الحالة لديها تقدير ذات مرتفع قدر بالدرجة 16، وهو ما تعكسه الاستجابات الواردة عن الحالة في كل المجالات، حيث تحصل على العلامة 09 من 12 في المجال الشخصي ممّا يعكس النظرة الايجابية للحالة عن ذاتها. والعلامة 03 من 06 في المجال العائلي وهو ما يؤكد إلى حد كبير ما وصف به الحالة علاقته بأفراد عائلته، حيث أشار إلى أنها علاقة تفاهم بشكل عام، إلاّ أنه يشوبها بعض المواقف السلبية خاصة مع الأب، والذي كان سبب في تغيير مسار حياته الّذي كان يراه بشكل آخر، أي تحقيق نجاح دراسي بدل الالتحاق بالعمل في سن مبكر. والعلامة 03 من 04 في المجال الاجتماعي ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى العلاقة الجيدة التي تربطه بالآخرين، و لأنه يتعامل مع الجميع باحترام وهدوء وهو ما تعكسه شخصيته الهادئة والرزينة. والعلامة 02 من 03 في المجال المدرسي. وبالنظر إلى محتوى المقابلات يتبيّن أن الحالة ينظر إلى عملية التعلم بشكل ايجابي جدا لما كانت له من نتائج مرضية أثناء تمدرسه، وكذا حرصه الشديد على متابعة دراسته عن طريق المراسلة مع وجود إحساس باليقين بأنّه سوف يتوفق في تحقيق نجاح علمي، وهذا ما انعكس إيجابا عليه حيث يتضح وجود آفاق مستقبلية إيجابية ساعدته على النظرة الايجابية لذاته. ويرى (فاروق عبد الفتاح سلامة، 1987: 21) أن العوامل المؤثرة في تقدير الفرد لذاته منها ما يتعلق بالفرد نفسه كاستعداداته وقدراته والفرص الّتي يستغلّها بما يحقق له الفائدة، ومنها ما يتعلق بالبيئة الخارجية وبالأفراد الّذين يتعامل معهم.

- **تحليل النتائج الخاصة بالحالة الرابعة: "انور"**

يتميّز انور بمستوى تقدير ذات منخفض، حيث تحصل على الدرجة 11 في الاختبار، وقد سجّل انخفاض واضح على مستوى تقدير الذات بشكل عام، أي أنّ الدرجات المتحصل عليها كانت منخفضة في كل المجالات، الشخصي، العائلي، والاجتماعي باستثناء المجال الدراسي أين تحصل على العلامة الكاملة، وقد يرجع ذلك إلى نظرته الايجابية للمدرسة رغم إخفاقه في التحصيل الدراسي والّذي يربطه بالدرجة الأولى بالظروف العائلية، حيث أكد أثناء المقابلات بأنه كان رافضا لفكرة تركه مقاعد الدراسة ولم يفعل ذلك إلاّ بعد إلحاح وإسرار شديدين من طرف الأب.

خلاصة:

نستنتج في الاخير ومن خلال النتائج المتحصل عليها في الدراسة ان اغلب الحالات المدروسة تميزت بتقدير ذات منخفض وسلبي، وهذا ما يشير جليا أنّ ظاهرة عمالة الاطفال تترتب عليها سلبيات ومخاطر وأضرار لا حجم لها، رغم أنّ البعض يرى وقد يدعم عمل الطفل بحجة أنّه يؤهلله لإكتساب مهارات تدريبية ومهنية، في حين أنّ هذه الآراء والتبريرات نفسها قد تؤدي إلى تفاقم الظاهرة وذلك لصالح المستفيدين من عمل الطفل في غياب تشريعات قضائية وقانونية قد تخضعهم إلى عقوبات صارمة.

المراجع:

1- أبوزيد إبراهيم أحمد (1987)، سيكولوجية الذات والتوافق، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

2- المليجي حلمي (2001)، علم نفس الشخصية، دار النهضة العربية، بيروت.

3- المعطي محمد حسن (1998)، علم النفس الإكلينيكي، دار بقاء للطباعة والنشر، القاهرة،.

4- موسى فاروق عبد الفتاح ، دسوقي محمد أحمد (2003)، اختبار تقدير الذات للأطفال، مكتبة النهضة المصرية، ط(5)، القاهرة.

5- سامي عبد القوي، منى أبو طيرة (1999)، عمل الأطفال: دراسة نفسية، رابطة الأخصائيين النفسيين المصرية رانم، المجلد(9)، العدد (1)، ص ص 11-63.

6) International Council of nurses (2000), Le travail des enfants, www.ign.ch, visité le : (14/07/2007).

7) Jacquemin Claudine (2001), Le travail des enfants esclaves, www.philippe – charlier.be, visité le : (17/07/2007).

8) Moro Marie-Rose (2004),Enfants soldats, www.unicef.fr, visité le : (14/07/2007).

9)Mucchielli Alex (2004), Dictionnaire des méthodes qualitatives en sciences humaines 2° Ed, Armand Colin, Paris.